لم يكن أبوذر ثائرا ولكن طالب اصلاح ارتآه . ومما يدل على عدم نزوعه الى الثورة أنه وهو فى منفاه مر به ركب من أهل الكوفة ممن كان منحرفا عن عثمان فطلبوا اليه أن ينصب راية يلتف حولها كل من كان على شاكلته وشاكلتهم ، فأبى ذلك بتاتا ونهاهم عنه : وأما مذهبه فى الاصلاح فلا شك أنه ابن بجدته ، فالاسلام لايحظر الثروة ولا الملكية ، ولا يوجب على المسلم حقا فى ماله غير الزكاة ، وكل ماينهى عنه الاسلام فى هذا الصدد انما هو ان تجعل الثروة غرضا مقصودا لذاته .

وعندى أن حركة أبى ذر الاشتراكية تمت بسبب قوى الى حركة مزدك الشيوعى الذى ظهر بفارس على عهد قباذ وكسرى انوشروان ، والذي كاد يقلب نظام المجتمع الفارسى رأسا على عقب لولا عزم أنوشروان وحزمه . فاذا عرفنا أن اليمن خضعت لفارس قبيل الاسلام وان يهوديا من أهل صنعاء يعرف بابن السوداء ادعى الاسلام فى خلافة عثمان وجعل يطوف الامصار الاسلامية داعيا الى الثورة ، وأنه هو الذى حرك أبا ذر لما آنس فيه من الميول الاشتراكية ، اذا عرفنا ذلك كله فقد وضحت الصلة بين الحركة الشيوعية الفارسية القديمة وبين الحركة الاشتراكية التى أوشكت أن تقع فى الدولة الاسلامية على عهد ثالث الخلفاء الراشدين .

* * *

لبث أبو ذر فى منفاه نحو ثلاث سنين يعانى ألم الوحشة وكبر السن وخيبة الامل فلما أدركه الموت فى سنة ٣٢ كانت وفاته مؤثرة ودالة على شدة ثباته على مبدئه حتى النهاية ، وعلى أنه حقا قد مشى وحده ومات وحده ، يروي ابن سعد فى طبقاته أنه عندما حضرت الوفاة أبا ذر حارت امرأته فى أمرها لتوحدها فى تلك الفلاة « فكانت تشد الى كثيب تقوم عليه فتنظر ثم ترجع اليه فتمرضه ، ثم ترجع الى الكثيب ، فبينا هى كذلك اذا هى بنفر تخد بهم رواحلهم كأنهم الرخم على رحالهم ، فألاحت بثوبها ، فأقبلوا حتى وقفوا عليها ، قالوا مالك ؟ قالت امرؤ من المسلمين يموت تكفنونه . قالوا ومن هو ؟ قالت أبوذر . ففدوه بآبائهم وأمهاتهم ، ووضعوا السياط فى نحورها ، يستبقون اليه حتى جاءوه . فقال لهم .... ولو كان لى ثوب يسعنى كفنا لم أكفن الا فى ثوب هو لى ، أولا مرأتى ثوب يسعنى لم أكفن الا فى ثوبها ، فأنشدكم الله والاسلام الا يكفننى رجل منكم كان أميرا أو عريفا أو نقيبا أو بريدا . فكل القوم قد كان قارف شيئا من ذلك الا فتى من الانصار قال انا أكفنك فانى لم أصب ماذكرت شيئا ، أكفنك فى ردائي هذا الذى على وفى ثوبين فى عيبتى من غزل أمى حاكتهما لى . قال أنت فكفنى .... فكان ذلك الفتى الانصارى هو الذى تولى تجهيزه ثم دفنوه جميعا .

وهكذا انطفأ سراج هذه الشخصية الفذة العجيبة . انها لاشك من تلك الشخصيات التى يقدمها الزمن عادة بين أيدي الاحداث

العلم والخلق

للدكتور منصور فهمى استاذ الفلسفة بكلية الآداب

وجهة العالم فى أن يدرك الأمور على ما هى عليه ، ونشاطه فى أن يكسب للمعرفة من ميدان الجهل ، وأن ينشر النور حيث يخيم الظلام . ووجهة الخلقي فى أن يصور الأمور على ما ينبغى أن تكون عليه الأمور ، وأن يلفت الأنظار الى مثل عليا تحفز بالناس للتسامي اليها والارتفاع بأنفسهم وبالحياة الراهنة الى ما هو أرفع من أنفسهم وأرفع من الحياة الراهنة .

ولطالما اضطربت الافهام واستغلق الأمر على الباحثين حين تعرضوا لاستجلاء الصلة بين العلم وبين الأخلاق فحسبوا أن الوشائج بينهما مقطوعة حين نظروا الى وجهتين مختلفتين : وجهة من يصف ويعلل ، ووجهة من يرتضى مثلا ويوجه اليه ، وجهة من يهز صوته الفكر ويتردد صدى هذا الصوت بين جوانب الدماغ ، ووجهة من تؤم نغماته تجاويف القلب وتسرى فى أقنية الدم ، وعلى أسلاك العصب لتدفع بالنفس كلها الى العمل .

ولطالما رأى غير قليل من المفكرين أن العلم النظرى وثمراته التطبيقية لاتؤثر فى الناس لتهذيبهم على نحو ما تؤثر العقائد الدينية والفلسفة والمثل العليا ، حتى أن بعض قادة الفكر فى الزمن الحديث أمثال « بسكال » و « ديكارت » اضطروا لانفسهم ذلك الرأى فتخطوا العلم ليجدوا فى الدين وفى العرف مرشدا لسلوكهم ومأمنا لأحكامهم وتقديرهم فى اتخاذ الحسن من الأفعال وتجنب القبيح منها ، وفي اتخاذ السبيل لراحة النفس واطمئنانها . بل قد ذهب غير قليل من مفكرى عصرنا الى إساءة الظن بالعلم فحملوه أوزار الحروب القاسية ، وأخطار الفراغ المالى ، وأضرار الثورات الاجتماعية الناشئة ومساوىء المطامع والتنازع المادى حتى وقديما تغنى فى لوم العلم الى الحد أن يروا على نحو ما يرى « اينشتين » فى أنه ذلك المسىء الى الحريات الانسانية ، فمن ينظر الى تلك المصانع وما فيها من آلات منوعة ، وأعمال موزعة ، يتبين أنها تتآمر جميعا على استعباد عدد من العمال وفير ، وتسخيرهم تسخيرا آليا تضمحل معه نفوسهم ، وتهن من تأثيره كرامتهم ، بل ربما يذهب الذاهبون فى مذهبهم الصدائى هذا الي

الخطيره إنذارا للناس واقامة للحجة عليهم اذا لج بهم الغرور فلم يرعووا ولم يزدجروا .

على أن روح أبى ذر لم يكن ليغيب مع جثمانه فى تلك الفلاة البلقع ، فقد ظل صوته داويا الى أن عقق ما أنذر به المدينة من « غارة شعواء وحرب مذكار » ووقعت الفتنة الكبرى التى يقال أنها أنتجت كل فتنة حدثت فى الاسلام . ولقد كانت غفار ممن نهض فيها وألقى فى نارها حطبا .

حد أقصى مما تقدم ، فلا يشفع له عندهم فضل الحسن الى البشر اذ يقاوم الأمراض الفتاكة ، وييسر المسافات البعيدة ، ويرفه الخلق في كثير ، فمع ذلك ورغم ذلك قد ينكرون على العلم قيمته وفضله لأن من يستطيع الاحسان في شيء قد تكبر قيمته ويعظم أثره اذا هو استخدم سلاحه للاساءة والعدوان وهو عارف لمواضع الاحسان . وأي اساءة أعظم من اساءة الحروب الممزقة بجهود العلم ؟ وأي عدوان أشد من تحويل عدد عديد من الناس الى صنف من المخلوقات يستغرق في الانتاج شهوة ومن غير قصد ، ويستغرق في الاستهلاك شهوة ، ومن غير حد ؟ .

على أن هذا النحو من النظر العدائي ربما كان بعض مصدره ما تتعرض اليه النفوس والهنات أحيانا من الخلط بين الوسائل وغاياتها ، وبين العلل ومعلولاتها ، وبين الحال وبين المحل مما هو شائع ذائع .

وعلى هذا النحو خلط الكثيرون بين العلم المحض الخالص وبين نتائج العلم وتطبيقاته في شؤون الحياة ، وكذلك قد ظلموه على نحو ما يظلم السيف المهند في يد الجندي الجبان

وليس حظ المنتج والعامة في الخلط بين العلم وتطبيقاته بأربى من حظ بعض الخاصة وأشباههم في هذا الأمر . فقد يطلب الكثيرون من معاهد العلم ودوره أن تفيض عليهم وعلى أبنائهم من المتعلمين بما ينتفع به الناس انتفاعا عمليا حتى شاعت في السنين الأخيرة عندنا وعند غيرنا من الأمم بدعة العلم العملي والتعليم العملي ونادى بها أكثر من كاتب ، وقال بها أكثر من مشتغل بشؤون التعليم . ولو أنصف هؤلاء وهؤلاء لاعترفوا للعلم بطبيعته النظرية ، وقدروا له حرصه على المعرفة لذاتها فحسب ، دون تقدير لنتائجها الضارة أو النافعة .

لكن غير المشتغلين بالعلم الخالص من أفراد الناس عامة هم الذين وجهوا نتائج العلم للخير والشر وللحسن والقبيح ، دون أن يكون للعلم في ذاته دخل في ذلك التوجيه . فما على العلم اذن وماله اذا ما استخدم الانسان بعض آثاره ليعيث بها فسادا أو ليصلح بها في الوجود ؟ .

ليس في قانون البحث العلمي ما يلزمنا أن نحكم بأن غازا من الغازات يجب أن يتوجه لحيث يحيي أو لحيث يميت ! وليس في قانون العلم أن جوهرا من الجواهر يجب أن يكون سما ناقعا أو بلسما نافعا ! لكن طبيعة الانسان بما فيها من رفعة أو ضعة هي التي تستخدم السم لتجعل منه الدواء أو لتجعل منه الداء ، وهي التي تستخدم الشيء الواحد يكون نعمة أو نقمة . فمدار الخير أو الشر اذن انما هو منوط بالانسان

. . . على أن الناظر المدقق لو أنه تأمل مليا لوجد أن العلم شمل عدة عناصر تهيء النفس للتسامي والخير . ذلك لأن العلم بشيء من الأشياء ، وتكشف الحق في جهة من الجهات ، واطلاق النورق مكامن الديجور كل ذلك انما يشعر بعظمة العقل وجدارة الانسان ، في الشعور بالعظمة والجدارة أول مصدر للخلق ونبالته . ولست أريد في هذه الكلمة الوجيزة أن أتعرض لما يحدثه العلم واصطناعه في تقوية الاستعدادات الخلقية الكريمة ، وحسبي أن أنبه طالب العلم الى أن العلم في جوهره نبيل وأن المنتمي اليه يجب أن يكون نبيلا . فيا طالب العلم لاتأثم في حقه فتتوجه به الى منخفض من الحياة ، والى ما في الدنيا من ضعة ! واعمل دائما على أن تعلو بعلمك الى السماء وتحلق به حيث شرف النفس ورفعة القصد وآفاق المعاني السامية وعالم الخير

التجديد في الدين

للاستاذ أمين الخولي المدرس بكلية الآداب

مقال لمشروع القرش ، وحول مشروع القرش ، يحضر النفس ذكر الشباب ، والتضامن والاستقلال والحياة والقوة وتجديد مجد مصر .. ثم نحن الآن في رمضان : صوم وزهد وتدين .. فمن تداعي هذه المعاني يأتلف العنوان « التجديد في الدين »

عنوان قد يطلع على البعض جريئا بل ربما كان مزعجا لكثير من المتدينين الذين يتعجلون الحكم على الأشياء قبل اختبارها ويبتدرونها بتلك الأحكام الناضبة السريعة . فان يفعلوا ذلك قبل الفراغ من المقال فهذا هو الذي يفقد أحكامهم قوتها وحرمتها . ولئن يتريثوا حتى يقرؤا فسيرون أنهم كثيرا ما يثورون في وجه من لا يستحق منهم الا التقدير .

عنوان قد يكون نابيا قلقا عند غير المتدينين . لأنهم يرون في الشيوخ صورة المحافظة المسرفة ، بل يعتبرونهم حجر عثرة في سبيل التجدد على اختلاف ألوانه . ويحملونهم تبعة الكثير مما أوقف الشرق وأخره . ويرونهم جند الرجعية ومعقلها . ويصدر الكثيرون عليهم أحكاما رهيبة . لكنها سرية قل من يجرؤ على مجاهرتهم بها . فأصحاب تلك الآراء والأحكام قد يعدون هذا العنوان دعابة مازحة ومفارقة فكهة . لكنهم إن يتعجلوا الحكم كذلك قبل أن يقرؤا فهذا بعض تطرفهم الذي يفقد جهادهم قوته ويعوق نجاحه . ولئن يطمئنوا حتى يقرؤا فسيرون أن كثيرا مما ثاروا فيه على الدين ليس من الدين في شيء ، وأن الدين غير المتنسبين الى الدين .

العنوان حقيقة صحيحة صريحة لا فكاهة فيه ولا مروق « ان شاء الله » . ففي الدين فكرة واضحة عن التجديد تبين ناموسا كونيا وتنبه الى سنة اجتماعية مطردة لا تتبدل . اذ ورد في الحديث « ان الله يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الأمة من يجدد لها دينها » أو ما هذا معناه . وهو حديث صحيح نص على صحته متقدمون منهم البيهقي والحاكم ومتأخرون منهم ابن حجر والعراقي .. وراجت فكرة التجديد في الاسلام . وعني العلماء ببيان مجددي كل مائة وتعيين اسمائهم ، وأعمالهم والترجمة لهم ... ولا أريد هنا وفي هذه الالمامة الصحفية ، أن أعنى باستقصاء تاريخ فكرة « التجديد في الدين » بل أكتفي بأن أشير في